((حقيقة العيد))

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

**(الأولى)**

الحمدلله رب العالمين ..

الحمد لله .. خلق فقدر ، وملك فقهر ، وأراد فأمر ، وعزَ فانتصر الحمد لله .. عزّ سلطانه ، عمّ إحسانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، عنت الوجوه لعظمته ، وخضعت الخلائق لقدرته ، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

ﭽ **ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ** ﭼ آل عمران: ١٠٢

مضى رمضان على فريقين من النّاس، مضى رمضان يوماً بيوم، وليلةً بليلة، وكلٌّ يعمل على شاكلته، ذهبت لذّة السهر ومتابعة المباريات والقنوات وذهب تعب الصيام والقيام والإحسان وسكب العبرات وعند الله الجزاء ﭽ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﭼ الجاثية: ٢١

مضى رمضان وحلّت أيام العيد، ونسأل الله أن يتقبّل منّا ومنكم، ومن أرض المسجد الحرام نهدي تهانينا بعيد الفطر المبارك لإخواننا الأبطال المجاهدين في سبيل الله في أرض غزّة، وفي رحاب الشّام، وفي أرض العراق وبورما أولئك الرّجال الذي يحلّ عليهم العيد وهم في نحور أعدائنا من اليهود والرّافضة المجوسيّة.

هلّ هلال العيد وإخواننا الأفذاذ يعيشون أيام عيدهم على ثغور الجهاد، وسط قصف عدواني بريٍّ وبحريٍّ وجويّ، قصف على المساجد، والبيوت، قصف على الأنفس، والأموال ناهيكم عن الأطفال التي يُتّمت، والنّساء التي رمّلت .

كم من يتيم تعالى صوته هــــلـــــــــعا لفقد أم وأخت تحت منهـــــــــــــــدم

وكم أب هاله فقدان أسرتــــــــــــــــــه يبكى لجرح عظيم غير ملتئـــــــــــــــم

وكم ليال مضت تبكى لحالهـــــــــــــــم غاب الضمير ومات الطفل من ألـــم

هانوا على الناس فالأبصار قد عميت وألة السمع قد ماتت من الصمـــــم

كأنما يرى من قتل إخوتنــــــــــــــــــــا في أعين الناس أثاما من اللمــــــــــم

يا هول جرم بنى صهيون كيف سعوا في الارض بالقتل والإفساد في الأمم

يا رب قيض لأهل الحق ابطــــــــــالا يعلون بالنصر للإسلام في شمـــــــم

واخذل جنودا بنوا بالظلم دولتهـــــــم واشدد عليهم بأمر القاهر الحكــــــم

مضى رمضان وحلّت أيام العيد، وأيام العيد أيام حمدٍ وشكرٍ لربّ العبيد .

العيد ذكر وثناءٌ للحميد المجيد، العيد عفوٌ وصفح، العيد ابتسامةٌ ووجهٌ طلق .

العيد ضيافةٌ وإكرام، ودعوة وإطعام، وحبٌّ ووئام .

في العيد تتقارب القلوب على الصفح والود، والألفة والمحبّة .

العيد فرصتنا لطرد الخلاف والشحناء، وهجر النزاع والبغضاء.

فإلى متى نرضى بالقطيعة والخلاف يدّبّ بيننا ؟

إلى متى يلقى الرجل أخاه وتلقى المرأة أختها والشيطان قد ألقى بينهما أشواكاً من الغلّ والحقد؟

إلى متى يمضي رمضان وينقضي العيد والنفوس في هجرها وقطيعتها ؟

قسماً بمن أحلّ القسم كنتُ بالأمسِ مع قريبٍ لي فأخبرني عن إخوة أشقّاء أشقّاء مات أبواهما ففعلت الدنيا الملعونة فعلتها، وسلّط الشيطان سهمه المسموم على قلوب الإخوة الأشقّاء، فوقع الخلاف، ودبّ النّزاع فتقاطعا الإخوة الأشقّاء، وتهاجروا منذ أكثر من أربع سنوات إلى يومنا هذا .

قلت: أهذا هو البر والوفاء للوالدين ؟ أهذا هو الإحسان الذي أمر الله به للوالدين ؟

أليس النبي يقول : «إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ» رواه مسلم . ؟

أليس النبي يقول : «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَمَاتَ، دَخَلَ النَّارَ» رواه أحمد . ؟

ألم يسمع هؤلاء أنّ النبي قال: «لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ» رواه البخاري . ؟

كنتُ أتساءلُ ولا زلت أتساءل؟

كيف رضي هؤلاء بهذه الأحقاد والضغائن تنبت في قلوبهم؟

ألا يخشون الله ؟ ألا يخافون عقاب الله ؟ ألم يصوموا رمضان؟

ألم يقوموا ليلة القدر ويناجون الله (اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي)؟

كيف يطلب هؤلاء العفو من الله وهم لم يعفوا عن بعضهم البعض؟

يأتي عليهم رمضان وهم يعلمون أنّ رمضان شهر العفو والصفح، ثمّ يمضي رمضان تلو رمضان، والقلوب هي القلوب، والنّفوس هي النّفوس بل ويأتي العيدُ تلو العيد ولا يتغير من ذلك شيء؟ ماذا أصاب القلوب؟ ماذا دهى النّفوس؟

إلى أيّ مدى بلغت قلوب هؤلاء في قسوتها وحقدها وبغضها ؟

نحن إلى زمن قريب، كنّا نفرح بالعيد صغاراً وكباراً، كنّا نذوق للعيد لذّة ومتعة .

كان النّاس في العيد يطؤون أحقادهم ونزاعهم تحت أقدامهم، ويتناسون خلافهم وشقاقهم، فيزور الناس بعضهم بعضاً، ويطعمون بعضهم بعضاً.

كان العيد فرحة وأنساً وسلامة قلب، وحب وإخاء.

نعم معاشر الكرام لقد عاش الأولون في زمان لا يخافون إلّا الله والذئب على غنمه.

عاشوا في أمنٍ وأمان، وحبٍّ وعفوٍ وغفران .

عاشوا أعيادهم في صلةٍ وأفراح، وإكرامٍ وودٍّ وانشراح.

عاش الأولون فرحة العيد في حياة بسيطة وبيوتٍ متواضعة؛ نساءهم سكن لنفوسهم، وزهرات لبيوتهم, نساء محصنات عفيفات, إذا خرجن أفسح لهن الطريق، لا تبرج وسفور، ولا تجمل وعطور, لباس ساتر، عباءة سوداء، حياء في حياء، لا يعرفون من العلم شيئا كثيراً، لكن الإيمان والإحسان والحياء يملأ قُلُوبَهُم، لا حسد ولا شحناء, لا حقد ولا بغضاء, لم يعرفون الأمراض المستعصية ولا الأطباء النفسيين، ولا الرقاة الشرعيين، لم يعرفوا البخل ولا الطمع، ولا الضيق ولا الضنك، حياتهم ملئت بالألف والمحبة, تطهّرت بسلامة الصدر والوفاء، والعطف والتراحم .

كانوا فقراء لكنهم أغنياء بالله، أغنياء بالقناعة، أغنياء بالرضا, بيوتهم ضيقة في مبناها بنيت من حجرة وحجرتين وطين ولبنتين، لكنها في أعينهم واسعة، يسكنها عشرة أشخاص، لايشكون ضيقا ولا إزدحاما، نفوسهم مطمئنة, قلوبهم سليمة، الكبير منهم أب للصغير، الغني رحيم بالفقير ، الجار قريب وآمن من جاره .

كانوا يذوقون للعيد لذة ومتعة، ويستبشرون بقدومه وحلوله ويفتحون بيوتهم ليلاً ونهاراً للزائر الذي فقدناه اليوم، فقلّ من يطرق دار أخيه للعيد والزيارة والتهنئة والبشارة، فرضينا بالتهنئة الصوتية والرسائل النصية وشبكة التواصل الاجتماعية .

فما الذي تغير ؟ لقد تغير كل شيء ، حتى العيد !! نعم , نعم تغيّر العيد .

فأين فرحة العيد ؟

العيد يأتي ويذهب والفرحة مكبوتة لا يعرف لها معنى، كثر المال، وعم الترف، وابيح المحظور، وظهر المستور، وفتحت الدنيا أبوابها، وسلّمت فرحة العيد للملاعب، والملاهي، والقنوات، والشبكات، والمقاهي، والاستراحات؛ فانقطعت الصلة بين العيد والفرح، فيأتي العيد ويذهب والنفوس متنافره, والأقارب متباعده, والجيران متخاصمة.

بل ربّما رأيت من يُنشئ سفراً في أيام العيد الأولى ليغلق بابه، ويمنع إخوانه وأصحابه من صلته وزيارته.

فأين العيد ؟ حدثوني يا كرام أين العيد الذي تجتمع فيه النّفوس على الألفة والمحبّة ؟

أين العيد الذي يتناس فيه أصحاب النّفوس الطيّبة أضعناهم ؟

أجيبوني يا أهل العيد أين العيد الذي تنعم فيه قلوبنا وزيارتنا العائلية والاجتماعيّة بالودّ والحب والصفاء؟

فعيدنا يا أهل العيد ليس ثوباً جديداً، ولا بيتاً جديداً، ولا فرشاً جديداً.

عيدنا يا أهل العيد ليس شراباً، ولاطعاماً، ولا مناماً .

عيدنا يا أهل العيد قلوب بيضاء، نفوس طيبة وصفاء .

عيدنا يا أهل العيد أن يكون شعارنا ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ الحشر: ١٠

**(الثانية)**

لقد كان رسول الله من أحرص الناس على سلامة قلبه وكان يقول لأصحابه فيما رواه عنه ابن مسعود : ((لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ)) [ أبوداود ، الأدب ، 4218 ] .

بل كان يدعو الله فِي صَلَاتِهِ قائلاً: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا)) [ النسائي 1287 عن شداد بن أوس ]

ولن ينسى مسلم تلا القرآن في رمضان حقّ تلاوته ما قصّه الله في قصة استهلّها بقوله ﭽ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ يوسف: ٣ والآيات التي تتابعت في وصف الآلام والآمال التي أحاطت بنبيّ الله يوسف فبعد أن كان آمناً في سربه، معافاً في جسده، أصبح رقيقاً يباع بثمنٍ بخسٍ دراهم معدودة، ومكر به إخوته، وكادوا له كيدا، وعرضوه لصنوفٍ من المحن، والتهم، والفتن فلقي النبي الكريم يوسف من جرّاء صنيعهم فتناً، ومحناً، وسجناً، وتهمةً أورثت النفس آلاما وأحزانا.

فلمّا مكّنه الله من رقابهم وساروا بين يديه نسى الكيد، والمكر، والأسى، والأذى وقال الكريم يوسف : ﭽ **ﮯ ﮰ ﮱ ﯓﯔ ﯕ ﯖ ﯗﯘ ﯙ ﯚ ﯛ** ﭼ يوسف: ٩٢

بل التمس لهم عذراً فيما فعلوه وكادوا له به ﭽ **ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰﮱ** ﭼ

وهذا رسول الله يلقى من عدو الله عبدالله ابن أبي ابن سلول مكراً، وخداعاً، وكفراً، ونفاقاً لا مثيل له، فقد تربّص بالمسلمين الدوائر، ومكر مكراً كبارا، وخذلهم في أحد، ولم يجد فرصة للطعن والنيل من نبيّ الله إلا انتهزها، وهو الذي أشاع قالة السوء في العفيفة الطاهرة عائشة -رضي الله عنها- وجعل المرجفين يتهامسون بالإفك حولها ويطعنون النبي في عرضه الشّريف واهتزّت المدينة بهذا الإفك المبين هزّاً عنيفاً وعمت الكآبة والحزن بيت رسول الله حتى جاء الفرج من السماء ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ النور: ١١

ودار الزمان دورته ومرض رأس المنافقين عبدالله ابن أبي ابن سلول ومات بعد ما ملأت رائحة نفاقه كلّ فج ، فجاء ابنه إلى رسول الله يطلب العفو عنه .

يا لله العجب !! العفو عمّن ؟ الصفح عمّن ؟

عن رأس المنافقين عن طاغية من أعتى طغاة الأرض .

فما ظنكم بخلق رسول الله الذي زكّاه الله من فوق سبع سماوات فقال ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ القلم: ٤ فعفى النبي عنه، وإذا بابنه يطلب من النبي أن يكفّن والده في قميص رسول الله فأعطاه قميصه، ثمّ طلب منه أن يصلّي عليه فقَامَ ليُصَلِّي عَلَيْهِ فَأَخَذَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ بِثَوْبِهِ، فَقَالَ يا رسول الله: تُصَلِّي عَلَيْهِ وَهُوَ مُنَافِقٌ، وَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ؟ قَالَ: " إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللَّهُ فَقَالَ: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟﭠ ﭼ التوبة: ٨٠ فَقَالَ سَأَزِيدُهُ عَلَى سَبْعِينَ " قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ التوبة: ٨٤ . رواه البخاري .

ماذا يقول أهل الحقد والحسد والهجر والشحناء عن هذا الموقف ؟

ماذا يقول من سكن الغلّ والبغض في قلوبهم ؟

فهذا حال نبيّهم مع من ؟ أجيبوني مع من ؟ مع رأس المنافقين عبدالله ابن سلول

إن العيد يا أهل العيد يدعونا إلى عبادة العفو والصفح .

إن العيد يا أهل العيد يدعونا لزيارة بعضنا بعضاً .

إن العيد يا أهل العيد يذكّرنا بما رواه مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أنَّ النَّبِيِّ قال : ((أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ)).

أرأيتم كيف تحولت هذه الزيارة من (فعل اجتماعيّ) إلى عبادةٍ يحبها الله، ويبعثُ لأجلها ملكاً يبشٍّرُ صاحبها بمحبة الله له ؟